

صفحات من تاريخ البحرين

من خلال مخطوطات ووثائق وكتابات في متحف البحرين

أسامة ناصر النقشبندى(*)

مقدمة:

البحرين من الحواضر العربية الموعلة في القدم في منطقة الخليج العربي تعاقبت عليها عدة شعوب وكانت لها صلة حضارية مع حضارة وادي الرافدين، اكد وسومر وأشور ، وهناك تأثير كبير من فنون العراق القديم وكتاباته على آثار حضارة البحرين القديم، وقد عرفت حضارة البحرين عند الاكديين والسومريين والأشوريين باسم (دلمون او تلمون) وعند الفينيقيين باسم (تايلوس)^(١) ، وهي حضارة خاصة بالبحرين ويرجع تاريخها من خلال المكتشفات الاثرية الى حوالي ٢٣٠٠ ق.م اعتماداً على ختم منبسط دائري مكتشف في المقبرة القديمة اعتمدت عليه بعثات التنقيب في التعرف على تاريخ دلمون، واثبتت بصورة قاطعة الى ذلك التاريخ وتميزت البحرين منذ العصور القديمة بانها كانت محطة للتجارة العابرة من وادي الرافدين والخليج العربي إلى الشرق الاقصى، ويتوفر فيها اللؤلؤ والتمر بانواعه والسّمك والقطن^(٢) وغير ذلك .

(*) باحث عراقي

(١) البحرين عبر التاريخ تاليف الشيخ عبد الله بن خالد الخليفة وعبد الملك يوسف الحمير ص ١٨ .

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠-٣٥ .

وكانت لها حواضر ومعابد اسطورية، وتتمركز آثارها بالمقبرة الكبيرة التي تعدّ أكبر مقبرة تاريخية في العالم، ومقابر أخرى مقببة، حيث كان سكان البحرين خلال تلك الحقبة القديمة قد اتخذوا مقابر لموتاهم في غرف حجرية ذات نمط مميز لا تزال قائمة الى اليوم ، ولهم آلهة خاصة بهم منها (انكي) اله الماء عند سكان دلمون (صورة رقم ١)، وقد كشفت التنقيبات الاثرية فيها على الكثير من الآثار، كالتماثيل الرخامية والنحاسية والاختام المنبسطة والوانى والجرار الفخارية المزخرفة التي لا تختلف نقوشها عن نظيرتها في حضارة وادي الرافدين، ومن الاختام المنبسطة التي عثر عليها، ختم دائري عليه رموز يستدل منها على بيئة البحرين واهمها نخلة التمر والغزل، وختم آخر تظهر فيه سفينة مصنوعة من الواح خشبية ويعلوها الشراع المثلث الشكل مع بحارتها ويرجع تاريخه الى حوالي ١٨٠٠ ق.م (صورة رقم ٢) .

لقد ذكرت دلمون في النصوص الآشورية ، منها ما ذكره سرجون ٧٢٢-٧٠٥ ق.م ، وأشور بانيبال ، ويفهم من اقوالهم انها جزيرة في البحر والمسافة التي ذكرها سرجون تكاد تساوي بعد البحرين عن فم نهر الفرات وهذا ما يحمل الظن ان المراد ب (دلمون) البحرين ، وقد كانت هذه الجزيرة في عداد الارض التي كانت خاضعة لاشور بانيبال^(٣). وكانت في دلمون كتابة خاصة سميت بالكتابة الدلمونية بالادماج التي كانت في الاصل سومرية، فاستخدموا الكتابة المسمتية التصويرية في اول الامر ثم قاموا بتطويرها لنفعهم^(٤) .

والبحرين كما جاء في المصادر والمراجع العربية، مجموعة من الجزر بالقرب من الشاطئ الغربي للخليج العربي بين قطر والاحساء اكبرها جزيرة

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

(٤) يُنظر تطور الكتابة الدلمونية بالادماج لعلي أكبر بوشهري ، مجلة الوثيقة العدد ٦ / ١٢٨ .

البحرين ، ويبلغ طول الجزيرة حوالي (٣٠) ميلاً وعرضها (١٢) ميل واعظم مدنها المنامة والمحرق سكنها الناس منذ بداية التاريخ لوجود مصائد اللؤلؤ والتمر^(٥) .

لقد نالت البحرين اهتمام المسلمين في صدر الاسلام حيث ارسل الرسول (ﷺ)، سنة ثمان للهجرة العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي المتوفى سنة ٢١ هـ ، ليدعوا اهلها الى الاسلام أو دفع الجزية ومعه رسالة الى المنذر بن ساوى يدعوه الى الاسلام او دفع الجزية ، فاسلم واسلم معه جميع العرب^(٦) (صورة رقم ٣) وهكذا أصبحت البحرين جزءاً من دولة الخلافة الاسلامية ، واسهمت في ازدهار الحضارة العربية الاسلامية، في مختلف العلوم والمعارف والفنون والآداب ، وظهر منهم علماء اعلام كان لهم دور مهم في الفكر العربي الاسلامي، كما خلفت آثاراً عمارية بعضها لا يزال شاخصاً، بالاضافة الى المخطوطات والوثائق والكتابات التذكارية على الابنية والمساجد .

لقد عملت خبير مخطوطات في المركز العلمي لدراسة وتحقيق المخطوطات في البحرين ، واسهمت في دراسة مخطوطات المتحف ، والوثائق التي يمتلكها ، والالواح الرخامية الموجودة فيه والتي نقل بعضها من مسجد الخميس ، وكذلك بعض الكتابات المتبقية في المسجد المذكور ، فتجمعت لدي معلومات يمكن أن تسهم في التعرف على جوانب مهمة من تاريخ البحرين في الفترة العربية الاسلامية ، وما كان سائداً من العلوم والمعارف والفنون المختلفة كالخط والزخرفة وصناعة المخطوطات والنصوص الكتابية التي

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة عباس محمود وآخرون المجلد ٣ ، ٣٩٢-٣٩٤ ، الموسوعة العربية الميسرة طبع القاهرة ١٩٦٥ ص ٣٣٠ .

(٦) معجم البلدان ١ ، لياقوت الحموي طبع دار احياء التراث العربي بيروت ١/٣٤٦-٣٤٨ ، حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل طبع القاهرة ص ٣٨٣ .

دونت بالخط الكوفي او الثلث وحفرت على الرخام وما تضمنته من اخبار التاريخ والاحداث، وتنحصر معظم هذه الوثائق والكتابات لما بعد القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلاد، ورأيت من الضروري ان أبدا هذه الدراسة بمقدمة مختصرة عن تاريخ البحرين القديم والاسلامي . وقد اطلعت على المخطوطات الموجودة في دار مخطوطات البحرين التابع لادارة الآثار والمتاحف، والتي جمعت عن طريق الاهداء والشراء حيث كانت موزعة على اكثر من (٥٧) مكتبة وتبلغ عناوينها (٦٥٦) عنواناً وهذه المخطوطات تكشف لنا عن اهتمام الناس بهذا التراث الجليل وما أجهد به أهل البحرين انفسهم للحفاظ عليه باعتباره من تراث البلاد الحضاري في مختلف فروع المعرفة، وقمت بدراستها واختيار المتميز والنادر والنفيس من هذه المخطوطات، فوجدت من بينها مجموعة من المصاحف الكريمة المزوقة والمذهبة بزخارف هندسية ونباتية من الازهار والاوراد استخدمت في رسمها عناصر زخرفية والوان محلية، وهي نسخ متحفية اضافة الى مخطوطات أخرى في الفقه واصوله والطب والفلك والادب والشعر واللغة وعلومها بعضها مزوقة ومذهبة، وبعضها الآخر كتبت باقلام نساخ وخطاطين من البحرين، منها مخطوطات كتبها علم وخطاط بحريني هو محمد بن سعيد بن علي بن حمد الذي يمكن ان نعتبره من اعلام النساخ في البحرين وقد بلغ ما كتبه (٦٠) مخطوطاً، وعمله شبيه بما أنجزه بعض اعلام بغداد من العلماء والخطاطين كمحمود شكري الألويسي وعبد الرزاق فليح البغدادي وابراهيم عبد الغني الدروبي وغيرهم.

كما نالت بعض أغلفة المخطوطات المهمة العناية اللازمة في زخرفتها وتلوينها، رأيت من بينها ستة اغلفة نفيسة مكونة من دفتين وحامل ولسان على الاسلوب الذي كان سائداً في المناطق العربية الاخرى مصنوعة من الورق المقوى مزوقة ومذهبة باسلوب محلي متميز .

اضافة الى هذه المخطوطات هنالك وثائق مهمة في المتحف تكشف لنا عن جوانب من الحياة العامة، ودور شيوخ البحرين في رعاية المجتمع البحريني، كمعاملات البيع والشراء والصكوك والعقود، أقدمها وثيقة مؤرخة سنة ٩٩٥هـ وأخرى مؤرخة سنة ٩٩٨هـ، ووثائق ترقى الى ما بعد هذا التاريخ، تتضمن فتاوى شرعية لبعض المسائل التي تدور بين الناس وعلى المذهبين الشافعي والحنفي، وهنالك وثائق مهمة تعود الى تاريخ البحرين الحديث، كتجارة اللؤلؤ، وتأسيس أول مطبعة في البحرين، وتعداد النفوس الذي تم في عهد الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة واعتراضه على نتائج التعداد، ووثيقة تتضمن أمراً من الشيخ حمد لمنع تجارة الرقيق، ووثيقة أخرى لجلسة بديوان الشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة، ومراسلات شيوخ البحرين ورجالها مع اعلام عصرهم، من بينها رسالة من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وأنجاله الى الملك عبد العزيز بمناسبة توليه زمام الحكم في السعودية سنة ١٣٣١ هـ .

ومن الآثار الاسلامية المهمة في متحف البحرين الوطني، كتابات على الرخام كتبت بخطوط الثلث والنسخ والكوفي المزهر، بعضها من القطع المتحفية، وهي تؤرخ لعدد من الشواهد المعمارية بعضها لا يزال شاخصاً وتاريخ تشييدها والتعميرات التي جرت عليها وتواريخ التعمير والاشخاص الذين قاموا بالتعمير، والاقواف التي خصصت لهذه الابنية، واسماء بعض المدن والقصبات التي كانت تعرف بها في تلك الفترة، والبساتين وعيون الماء التي تسقيها، ومعظم هذه الكتابات الاثرية تعود الى ما بعد القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وبذلك تعتبر هذه الشواهد الاثرية ووثائق تاريخية مهمة تكشف لنا عن جوانب حضارية من تاريخ البحرين، بعض هذه الكتابات وجدت في مسجد الخميس ذي المنارتين الذي لا يزال قائماً الى اليوم (صورة

رقم ٤)، ومنها محراب المسجد الذي يُعدّ من أهم هذه الآثار وشواهد القبور المصنوعة من الرخام التي تحيط بالاضرحة من كل جوانبها ، وقد كتبت عليها آيات من القرآن الكريم وأسماء الأشخاص المدفونين وتواريخ وفياتهم، كما توجد كتابات لا تزال مثبتة على جدران جامع الخميس .

ومحراب المسجد مسطح الشكل في وسطه مستطيل مقوس ومفصص بثلاثة فصوص من الاعلى ، يبدأ من الاسفل وبارتفاع ثلثي طول المحراب والى جانبيه عمودان مدوران بمستوى سطح المحراب وفي أعلاه حشوة كتب عليها بالخط الكوفي (لا اله الا الله محمد رسول الله) بعرض المستطيل المقوس ، وتحت الحشوة على الجانب الايمن للقوس كتبت كلمة (محراب) والى الجانب الايسر كتبت كلمة (صلاة)، وتحيط بهذا المستطيل المقوس الآية (٥٥) من سورة المائدة ونصها (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون). وقد كتبت بالخط الكوفي ، وهذا المحراب بشكله العام وقوسه المفصص شبيه ببعض المحاريب في العراق كمحراب مرقد الامام عبد الرحمن في الموصل ومحراب مصلى عمارة الاربعين في تكريت مع بعض الاختلاف ونرجع تاريخه الى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (صورة رقم ٥) .

النصوص الكتابية : لقد اخترت نماذج من النصوص الكتابية التي تعود الى تواريخ مختلفة والتي كتبت على الرخام بشكل غائر او ناتئ، اعرضها مع الصورة وقراءتي لها مرتبة على السطور وهناك نصوص أخرى كتبت على افريز مسجد الخميس بالخط الكوفي وهي قطع متفرقة يتضمّن بعضها اسماء الأئمة الكرام (عليهم السلام)، وقد ساعدني السيد عبد الرحمن مسامح

٧- انظر : عمارة الاربعين للدكتور عبد العزيز حميد مجلة سومر ٢١/١٣٩-١٤٠ ، المحاريب العراقية لنجاة يونس الحاج محمد النوتونجي صفحة ٨٩-٩٢ .

في حينها عند قراءتي لهذه النصوص وهي:
النص الاول : صورة رقم ٦ قياس اللوح ٧٥ × ٤٥ سم

١- (يا رب) في اليوم العشرين من شهر رجب لسنة خمسة وستين وسبعمائة أوقف العبد المذنب اقل عباد الله واحوجهم الى رحمة ربه .

٢- ورضوانه محمد بن ناصر بن عبد الله بن ربيع تمام الملك المعروف (بناقض) (برقيب) من (تربعي) الواقع في ديوان (بوري) على قراءة والده .

٣- ناصر بن عبد الله كل يوم جزئين من كتاب الله العزيز وعلى امه مريم بنت ابراهيم كل يوم جزئين من كتاب الله ، كاتبة تلك القراءة في .

٤- مسجد (الرشان) واقف تمام ثلث الملك المذكور (المالبروده) وجه استقاء مسجد (الرشان) (المالبرودة) وما (تبقى) من .

٥- فلاة العرب الواقعة (بربع) في المسجد الواقع في (بيوته بربع) في فلاة الثلث .

النص الثاني : صورة رقم ٧ قياس اللوح ٥٣ × ٧٣ سم

١- بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بعمارة هذا المسجد المبارك صاحب المعظم أحوجنا كمال الدين بن علي بن المرحوم منصور بن محمود كرد، زيد بعظمته قربة الى .

٢- لله تعالى ووقف على مصالحه الشريفة جميع الملك المعروف من البلد القديم (بفوليان) مع نصف الملك المعروف من أعلى على بحمکان حويص عيون الماء (ليرتلو) ستماية ويشاء كل من يحضره يقرأ .

٣- القرآن كل يوم منه ، وقيم صلاة رمضان مايتان وثمان وخمسون ... يحضره للصلاة يوم الجمعة . كل جمعة مايتان وخمسة ، وستماية لظهر ، ومايتان لعصر ، ومايتان خلالهما ... في .

٤- من اسس مصالحه (و) قرر ورقم وعمرهما تقبل الله احسانه وأعلى درجاته في سبع وعشرين

من صفر سنة ست وسبعين وسبعمئة هجرية .

النص الثالث : صورة رقم ٨ قياس اللوح ٧٢

× ٣٣ سم

١- ايضاً على انصاف نصف حمكان مع صرمة فوليان جنوب

٢- عين القصارين الصغرى الغربى وفقاً شرعياً متقربا الى الله تعالى

النص الرابع : صورة رقم ٩ قياس اللوح ١٥٣

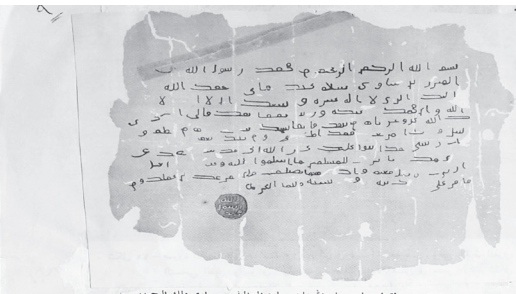
× ٣٤ سم

١- بسم الله الرحمن الرحيم لمثل هذا فليعمل العاملون ، تقربت الى الله العظيم طلباً لثوابه الجسيم خلاصة حضرة الوزراء الاعاظم ونخبة الاوصاف وركن الوزارة والايالة والحكومة والعدالة والاقبال محمود بن حضرة (عزيز) بحكمان حضرة (بهم) راياته وقرين الجنات ذو الرشد والسعادة نور الشهادة والغفران .

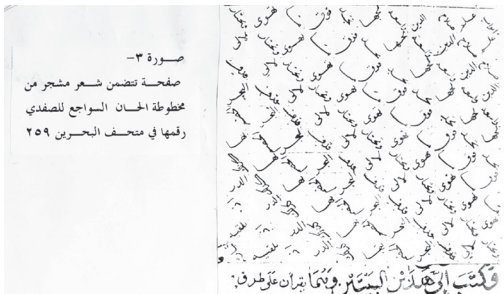
٢- ويرفع التوزيع والثغور وسائر خراجات الديوان وعن اوقاف املاك المشهد الشريف ذو المنارتين الكائن ببلد أوال حرست عن الوبال رفعاً مؤيداً على امم الانام فيها الخاص والعام، ومما يشاء فمن غير في رسم هذا الحجر من سائر العالمين فعليه اللعنة من الله والملائكة والناس أجمعين . تحريراً بشهر شعبان لسنة اربع وتسعين وتسعمائة ، والحمد لله وصلاة على محمد وآله وسلم .

اما النصوص الأخرى التي عثر عليها في مسجد الخميس ، فليس فيها ما يضيف الى هذه الدراسة من معلومات ، وشواهد القبور الرخامية التي أشرت اليها فهي كثيرة ومحفوظة في متحف البحرين الوطني وقد قرأت معظمها ، وتحتاج الى دراسة خاصة بها .

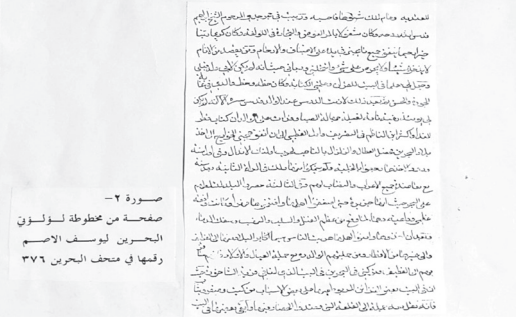
راجياً ان تكون هذه المقالة مفيدة للباحثين في تاريخ البحرين وأثارها الاسلامية للفترة التي



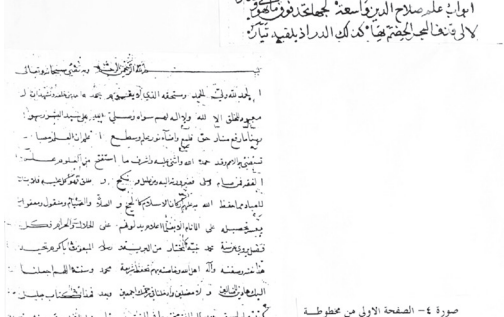
صورة ١ - رسالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى المنذر بن ساوى ملك البحرين



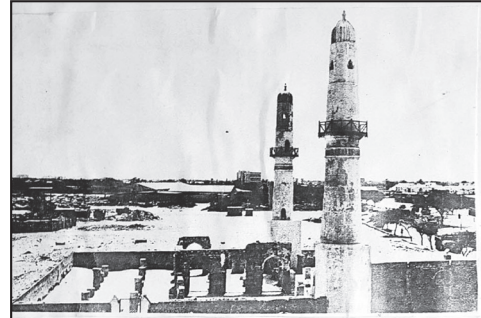
صورة ٣ - صفحة تتضمن شعر مشعر من مخطوطة الحسان السواح للصفدي رقعها في متحف البحرين ٢٥٩



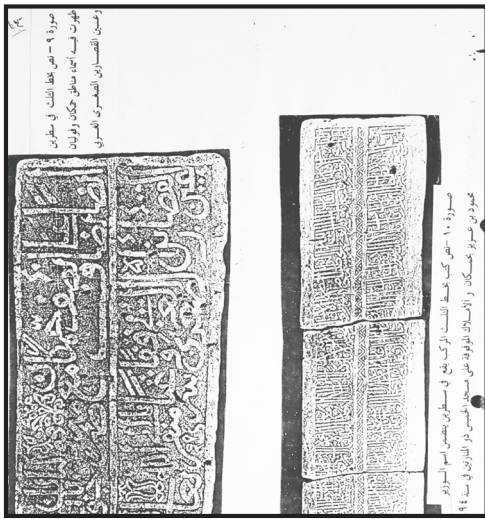
صورة ٢ - صفحة من مخطوطة لسؤلون النحويين ليوست الاصح رقعها في متحف البحرين ٣٧٦



صورة ٤ - الصفحة الاولى من مخطوطة عنوان الترف الوبالي لاصماعيل الشاذلي رقعها في متحف البحرين ٦٥٧



صورة ٥
مسجد الخسيس الأزهرى ذو المئتين الذي عثر فيه على النصوص الكتابية



صورة ٩ - نص خط الثلث في سطرين
ظهرت فيه أسماء مائة من الأسماء
وغير القصارين المصنوعين المصنوعين

صورة ١٠ - نص خط الثلث في سطرين
عثر على عشرين عتبة من مسجدين في
مسجد الخسيس في سنة ٩٠٤ هـ



صورة ٧ - نسخة من نصين :
ولقدية مؤرخة سنة ٧٦٥ هـ
للواقف محمد بن ناصر بن عبد الله
بن ديع وشرط الواقف فراءة كل
يوم عشرين من كتاب الله العزيز
وعلى أمته فريم بتة ابراهيم كل
يوم عشرين في مسجد الرضات



صورة ١١ - نص في سطرين يتضمن تاريخ عمارة منارة في مسجد الخسيس سنة ٩٥٤ هـ